علامات الإيمان الحقيقي

جون نور

أعزائي المستمعين الكرام موضوع حلقتنا اليوم من برنامجنا حكم وأمثال من الكتاب المقدس هو علامات الإيمان الحقيقي.

من الضروري جداً في بعض الأحيان أن نتساءل ـ سيما في بداية حياة الإيمان ـ عما إذا كانت حياتنا سليمة حقاً. لقد تعودنا أن نشدد القول، بأن الإيمان هو الضروري للخلاص لكن علينا ان نعرف بان هناك نوعين من الإيمان. ايمان حقيقي وايمان خاطيء ولذا ربما يكون إيماننا هو الإيمان الخاطئ رغم كل المظاهر التي لنا. فلا يكفي أن نقول بأن لنا إيماناً، بل يجب أن نكون واثقين من أنه هو الإيمان االحقيقي الذي يربط النفس بالمسيح المخلص.

الإيمان الحقيقي تكون غايته المسيح. في كثير من الأحيان يتساءل المرء «هل إيماني هو الإيمان الحق؟». ولا توجد سوى إجابة واحدة لهذا السؤال: «عندما تتحرك النفس متجهة نحو المسيح كمخلص لها، فهذا هو الإيمان الصحيح الذي يأتي بالنفس إلى معرفة الله». كل إيمان تكون غايته المسيح هو الإيمان الصادق. قد لا يكون مقترناً بالسرور المفرط. قد يكون ضعيفاً كلمسة المرأة النازفة الدم لطرف ثوب المسيح. قد يكون ضئيل القدر مثل حبة الخردل. قد يكون مقترناً بشيء من اليأس مثل صرخة بطرس «يَا رَبُّ، نَجِّنِي!» لئلا أهلك (متّى 14:30). لكن إن كانت أعمق أشواق النفس هي المسيح، أصبح هذا الايمان هو الخيط الرفيع الذي يجذب الضال، من الممرات السفلية التي انحدر إليها، إلى نور الحياة.

الإيمان الحقيقي هو الثقة. الثقة كلمة تعنينا شخصياً أكثر من الإيمان. نحن نؤمن بالسجلات التاريخية ونصدقها، ونؤمن بكلمة الوعد التي يقدمها إلينا الكتاب المقدس وفي بداية الحياة المسيحية عندما تكون النفس لا تزال تتطلع حولها طلباً للمعونة فإنها تتطلع بصفة خاصة إلى ما قيل عن المسيح وربما إلى مواعيده الثمينة. لكنها فيما بعد تلتصق بالمسيح نفسه، ومن تلك اللحظة لا تعتمد على الأفعال بل على فاعلها، لا على الكلمة بل على قائلها، لا على الفداء بل على الفادي الذي مات، لا على القيامة بل على من قام، لا على الشفاعة بل على ذاك الحي في كل حين ليشفع فينا (عبرانيين 7:25).

الإيمان الحقيقي يعتمد على أمانة الله. الإيمان المزيف يحاول أن يؤيد نفسه بالتقاط كلمات المديح التي يقولها عنه الآخرون. أو بالتأمل في مظاهر التقوى التي قد يكون مقترناً بها. أنه يحاول دوماً أن يحتفظ ببعض مظاهر التقوى لكي يطمئن نفسه بأنه ليس مزيفاً. أما الإيمان الحقيقي فإنه يتغاضى عن كل هذه الاعتبارات ويوجه نظره إلى الله، ويعتقد بأن الله صادق. وأنه لا يمكن أن ينبذ ذريته، ولا يمكن أن يتغاضى عن النفس التي جذبها إليه، وأنه لا بد أن يلتقي بها عندما تكون لا تزال بعيدة جداً ويذبح لها العجل المسمن. ليست هنالك وسيلة لتنمية الإيمان أفضل من تحويل النظر عنه إلى هدفه وغايته وهو رئيس ايماننا ومكمله يسوع. إن كنت أنت لا تؤمن فإنه هو يبقى أميناً. كف عن التطلع إلى قوة إيمانك، أو إلى جذوره، أو تحليل عناصره. ابدأ بالتفكير في أن الله يستحيل أن ينكر نفسه، وإذ تعمل هذا فإن الإيمان الحقيقي يتحرك فيك. عندما تتأمل في أمانة الله فإن إيمانك يتقوى ويشتد حتى ينقل الجبال.

الإيمان الحقيقي يتبعه الندم وانسحاق القلب. هنالك فرق كبير بين التوبة والندم. التوبة تسبق الندم وترافق الإيمان، والندم يتبع التوبة. التوبة مركزها الإرادة، والندم مركزه العواطف. التوبة هي ترك الخطية، والندم بغضها والحزن من أجلها. ولذلك فإن التوبة قد تحصل مرة واحدة عندما نتحول من حياتنا الشريرة إلى الله، أما الندم فإنه يتمشى مع كل اختباراتنا المسيحية. وكلما ازددنا اقتراباً من المسيح ازداد حزننا من أجل الحزن الذي سببناه له. عندما وصلت المرأة الخاطئة إلى قدمي المسيح، وأدركت أن خطاياها قد غفرت، بللت قدميه بالدموع وقبلتهما. إن الإيمان الذي لا يتبعه الندم والدموع أيمان مشكوك فيه كثيرا وكثيرا جداً.

الإيمان الحقيقي يبتعد عن العالم والخطية بقدر اقترابه من المسيح. إنه يلتصق بالمسيح وينشغل بمحبته وجماله لدرجة أنه لا يجد أية لذة في تلك الأمور التي كانت فيما قبل تشغل قلبه، وتحتل تفكيره، وكان يرى أنها ضرورية لكيانه. لقد أصبح كنزه في السماء، وقلبه هناك أيضاً.

الإيمان الحقيقي تكون له ثماره. لقد قلنا أنه هو حلقة الاتصال بين المسيح والنفس، وأنه عن طريقه تنسكب نعمة المسيح فينا، كما تنسكب العصارة من جذع الكرمة في عنقود العنب الذي ينمو قليلاً فقليلاً. من المستحيل أن نكون في اتحاد حقيقي بالمسيح دون أن نحس بنبض حياته المجيدة في دواخلنا. وحيثما دخل هذا الاتحاد كنهر فائض متدفق فلا بد أن تظهر الثمار. وعندما لا تتوفر الثمار فإما أن تكون القناة قد أغلقت، أو أنها لم تكون تكويناً حقيقياً قط.

إن لم يكن لك إيمان، أو إن كنت تخشى لئلا يكون إيمانك خاطئاً، فلا تيأس. تطلع إلى يسوع. افتح قلبك لكي يضع فيه الله موهبة الإيمان الحقيقي. آمن بأنه يفعل هذا في اللحظة التي تبدأ فيها بأن تطلب. اعتبر بأن الله صادق. غذ إيمانك بكلمة الله انعشه بالتسلق إلى قمم الشركة حيث يستنشق الهواء المنعش.